

# في سوق العبيد

« وُلدَ الإنسانُ حرّاً ، هاك يا ابنَ الأكرمين »  
« صفةً خالدةً ، موسومةً للظالمين »

لم أزلُ أسمعُها داويةً عبرَ القرون  
وأرى نفسيَ في سوقِ العبيد  
يهتفُ البائعُ ، والشاري يزيد

سيدي ، ها نحنُ غلمانَ الأمير  
ككلابِ الصيدِ في حقلِ الأمير  
نملأُ الدنيا نباحاً وزفير !  
وإذا عدنا ، فالصيدُ الوفير !

ككلابِ الصيدِ نمتصُ العظامَ  
وعلى أعتابِ مولانا ننام !  
كم شهيدٍ مات في ليلِ الكفاح !  
جاء يفدينا على الأرضِ ، وراح ؟  
فأفتنا ، واحترقنا في الصباح !

أيها التمثالُ (١) هل حدثنا عن ميلوت  
كم شهيدٍ في ضلوعِ الليلِ مخضوبِ الجبين !  
مات من أجلي ، ومن أجلِ رفاقي البائسين !

أيها التمثالُ ، مازالت يدُ المستعمرين  
تخنقُ الآلافَ والآلافَ في الليلِ الحزين  
في روابي القدسِ ، في يافا ، وفي الاسكندرون  
وعلى ساطئنا القرصانُ منشورُ السفين  
مطلِّقُ الاعلامِ في الآفاقِ مزهواً الجبين  
بملأُ الليلِ قبوراً ، وضحايا ، وأنين  
والثكالي في زوايا الليلِ يندبنَ البنين

وأرى نفسيَ في سوقِ العبيد  
يهتفُ البائعُ والشاري يزيد

في غدٍ يا إخوتي موعدنا الدامي يحين  
حسبنا كُننا قديماً ، فلماذا لا نكون !

دمشق يوسف الخطيب

(١) تمثال البطل الشهيد يوسف العظمة

في ضلوعي دَفَقَةٌ عارمةٌ لا تستكينُ  
في ضلوعي أني أحيَا حياةَ المتين  
يا أنا ، يا سلعةً هَيَّئَةً للشترين  
يا أنا ، يا قَدْحاً في سهراتِ المترفين  
يا أنا ، يا شمعةً تحرقُ ليلَ الكادحين  
في ضلوعي ، أيُّ إغصارٍ من الحقدِ الدفين

تلك آفاقي : دماءٌ ، وحرابٌ ، وسجون  
وجباهٌ في الدُّجى تنزفُ سَخْرَ الحاكمين  
وأنا في السورِ ، في إطراقةِ الليلِ الحزين  
حاضري وهمٌ ، وأشباحُ تَزَيَّتْ باليقين

وأرى نفسيَ في سوقِ العبيد  
يهتفُ البائعُ ، والشاري يزيد

وأرى جاربةً مثلي تُباعُ  
وأرى شيخاً وأطفالاً جِيعاً  
ويجهم ، دَفَقَتْ نواقيسُ الصراعِ !

وأرى النخاسَ في الثوبِ القشيبِ  
حائقاً يعبثُ بالسوطِ الرهيبِ  
سوطه بين ضلوعي كالسوجبِ

ويعرُّ الموكبُ الرسميَ فينا  
جاءنا اليومَ رسولُ بَشْتَرِينَا

لم يزل يسكرُ هارونُ الرشيد  
وأنا كالتقريدِ في سوقِ العبيد

أيها الاحرارُ قد بُحَّتْ صدورُ الهاتقين  
فمتى يا إخوتي موعدنا الدامي يحين !

في دمي دفعةً ذكرى من ينابيعِ السنين  
في دمي قصةٌ عدلٍ من حكايا الأولين  
لم أزلُ أسمعُها داويةً عبرَ القرون

« عمرُ الخطابِ ، والمصريُّ ، وابنُ الأكرمين »  
« وُلدَ الإنسانُ كالإنسانِ من ماءٍ وطنِ »